(٦٠) توريانتر، المصدر السابق، ص٧٦.

(٦١) محمد خليل أمير، المصدر السابق، ص٣٤.

(٦٢)كانون، المصدر السابق، ص١١١ : احمد سوسة، المصدر السابق، ص١٢٢ : ويقول سيار الجميل بأنه عمل في المنطقة للفترة ١٨٣٣-١٨٦٩م. بيركتس، المصدر السابق، ص ص ١٦٩- ١٩٠ : بينما يؤكد بلينكو أن بيركنس وزوجته أبحرا من استنبول باتجاه كوردستان سنة ١٨٣٤م Blincoe، Op. Cit، P31.

(٦٣)

Joseph، Op. Cit، P63،

سوسة، المصدر السابق، ص ص ٦٨-٦٩ : جوارو، المصدر السابق، ص ص ١٦٤-١٦٥.

(٦٤) جليل، من تاريخ الإمارات ...، ص١٢٩.

(٦٥) الآشوريين ...، ص٦٨.

(٦٦) خالفين، المصدر السابق، ص ص ٣١، ٧٠.

(٦٧)

Blincoe، Op. Cit، P40.

(٦٨) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص٨٤.

(٦٩) العدول، المصدر السابق، ص١٦٤.

(٧٠)

E.H .Dance ،New Europe and the new world) sixteenth to eighteenth centuries ،(London1956 ،P180.

(٧١) لازاريف، چەند كيشەيەكى ديموكرافى ...، ص ٤١٢.

(٧٢)

Blincoe، Op. Cit، P24.

(٧٣) كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ص ص ٢٨-٢٩ : جەمال نەبەز، كورتە مێژويەكى كوردناسى لە ئەلمانيا، گۆڤارى زانيارى كورد، بەرگى ٢، ١٩٧٤، ص ٤٢٢ : Lewis، Op. Cit، P82.

(٧٤) ميريلا غاليتى، التراث الكردى فى مؤلفات الإيطاليين ،ت: يوسف حبى، كۆڤارى كورى زانيارى عيراق (دەستەى كورد)، مجلد ٨، سنه ١٩٨١، ص٢٣٩.

(٧٥)ابراهيم خليل احمد، النشاطات الطبية ...، ص٢٥٨. للتفاصيل ينظر: سلامة حسين كاظم، التبشير في العراق، رسالة ماجستير مقدمة لمجلس كلية الشريعة / جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٧٦)

Blincoe، Op. Cit، P37.

المبحث الثالث: كوردستان منتصف القرن التاسع عشر

أدت السياسة العثمانية الجديدة والتي استهدفت إعادة السيطرة المركزية على مختلف مناطق الإمبراطورية ومنها كوردستان إلى زيادة تأثير الإدارات العثمانية والموظفين الأتراك على كوردستان، من اجل التحكم بإدارة واقتصاد كوردستان[١] وبحلول منتصف القرن التاسع عشر استطاعت الدولة العثمانية إنهاء حكم الأمراء الكورد من خلال الحملات العسكرية على الإمارات الكوردية القائمة منذ عدة قرون، ولم تكتف السلطات العثمانية بالقضاء على الإمارات الكوردية بل قامت بإبعاد الأمراء الكورد وعائلاتهم إلى مناطق بعيدة عن كوردستان لمنع الكورد من القيام بأية ثورات في المستقبل[٢]. وحتى (يزدان شير) الذي أسندت إليه أمارة بوتان مقابل موقفه ودوره في إنهاء حكم الأمير بدرخان، فان الدولة العثمانية وخوفا من اتساع نفوذه أقدمت مرة أخري على إبعاده من ادارة بوتان وأرسلت جيوشها للتمركز في مختلف مناطقها ومدنها وعينت والْ أخر عليها[٣]. وهكذا استغل يزدان شير حالة الاستياء العام في كوردستان من تصرفات الادارة العثمانية وعزل الزعماء الكورد وزيادة الضرائب والتجنيد[٤]، بالإضافة إلى الهزائم العثمانية أمام الروس في حرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦، وقام بحركته سنة ١٨٥٤م.

رغم كل الإجراءات التي اتخذتها السلطات العثمانية في كوردستان إلا إنها لم تستطع كسب ثقة الكورد لانهم كانوا لايزالون يتذكرون المذابح والجرائم التي ارتكبتها قواتهم في كوردستان، ومن جانب أخر فان تلك الانتكاسات العسكرية للكورد أمام الجيوش العثمانية لم تنه المقاومة الكوردية وفشلت في القضاء على طموح الكورد إلى الحرية بدليل استمرار المقاومة والثورات في الفترة اللاحقة ضد الحكم العثماني[٥]. وعن إعادة الإدارات العثمانية والقضاء على الإمارات الكوردية يقول (مهرداد ازادي) ((إن إزاحة القيادات التقليدية في كوردستان يعتبر ارتدادا إلى الخلف في مسيرة تطور الكورد اجتماعيا وسياسيا، فلقد كانت الكيانات المحلية ... مصدرا للتطور والرقي وانتشار الثقافة ... فقد كان الأمراء المزاحون

ينظمون أمر المترحلين ويتابعون حال رجال الدين ويعتنون بإقامة العلاقات الاقتصادية مع العالم الخارجي))[٦].

لقد كانت السلطات العثمانية تستهدف من وراء إزاحة القيادات الكوردية إلى أن تظهر للكورد عدم وجود أمراء أو قادة لقيادة نضالهم، وكنتيجة طبيعية وبعد اختفاء دور الامراء فان رجال الدين والشيوخ لعبوا دورا قياديا مهما في الأحداث فيما بعد[٧]. واصبح رؤساء العشائر، بعد القضاء على الأمراء الكورد، يمثلون أداة الاتصال مع الموظفين الأتراك، حيث أدى ذلك إلى تثبيت مركز رؤساء العشائر، لان سيطرة الحكومة على العشائر الكوردية كانت ضعيفة[٨]. ويؤكد لونكريك على أن عودة الحكم المركزي العثماني إلى كوردستان لم يحسن من الأوضاع فيذكر ((إن خلع البيكات الأكراد من عروشهم التي كانوا فيها مدة طويلة، وهم بين مستقل أو تابع، يعد تقدما يستبشر به، فإنما ذلك هو تقدم من وجهة النظر التركية فقط ذلك لان حكم ألا فندية الحديثين مع جيشهم لا يمكن أن يعد تحسنا من ذي قبل في نظر الفلاح أو الراعي))[٩]، وهناك من يعد ذلك إضعاف لمعالم الحضارة في كوردستان من فنون وعلوم على أيدي الإدارة العثمانية المفروضة[١٠]، ويعتبر أحد الباحثين القضاء على الإمارات الكوردية وإبعاد أمرائها الشرعيين إنما تشكل في كوردستان نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة[١١].

رغم كل الاثار السلبية لفرض السلطة المركزية على كوردستان، فان ذلك أدى من جانب أخر إلى زيادة الوعي القومي لدي الكورد ودفعهم للعمل على تحرير أجزاء كوردستان بعد إلغاء حدود الإمارات المحلية، حيث بالإضافة إلى الصراعات الداخلية فان نضالها كان يتميز غالبا بطابع محلي دون العمل على توحيد جهودها ضد العدو المشترك المتمثل بالدولة العثمانية[١٢].

رغم هذه النتائج غير المباشرة فان معظم الباحثين والمؤرخين اتفقوا على أن السيطرة المركزية العثمانية التي فرضت بقوة الحديد والنار على كوردستان تركت أثارا سلبية إضافية إلى كل ما حل بكوردستان من دمار وقتل وخراب خلال الحملات العسكرية العثمانية خلال الثلاثينات والأربعينيات من القرن التاسع عشر،

ولذلك عمم الاستياء العام في كوردستان من وصول القوات العثمانية إلى أهم مناطق كوردستان، وما رافق ذلك من فرض التجنيد وأعمال السلب والنهب لإجبار الكورد على تموين الجيوش العثمانية أثناء عملياتها العسكرية وجمع أنواع الضرائب بصورة قسرية حيث ترتب على ذلك المصادمات المستمرة مع القوات العثمانية[١٣].

من الأمثلة الواضحة على ذلك، المحاولات المستمرة للسلطات العثمانية منذ عدة أجيال للسيطرة على عشائر الملي[١٤]، ونهب ممتلكاتها وإخضاعها لسلطتها فبعد مقتل رئيس عشائر الملي (تيماوي بك) في إحدى المعارك ضد العثمانيين حيث كان قد تحالف مع إبراهيم باشا قائد الجيش المصري المتقدم في الشام، فان الجيش المصري نفسه اضطر إلى الانسحاب من الشام أمام العثمانيين وحلفائهم الأوروبيين بعد ان فرض معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م فعادت السلطة العثمانية إلى المناطق التي تسكنها عشائر الملي حيث تعرضت إلى الكوارث والمصائب وخاصة بسبب أعمال السلب والنهب التي قام بها الجيش العثماني في تلك البلاد[١٥]، واستمرت عشائر الملي تعيش تلك الحالة حتى استطاع (محمود بك) ابن تيماوي بك من جمع لم العشيرة تحت رئاسته بمساعدة والي الشام، واتخذ من (ويران شهر) مقرا له، ولكن سرعان ما هاجمه جيش عثماني بقيادة والي آمد (ديار بكر) (عمر باشا) حيث قبض عليه وسجنه في آمد حتى نجاح ابنه (إبراهيم باشا) من استصدار العفو السلطاني له فيما بعد[١٦]. ويمكن الإشارة إلى حالة أخري لعب فيها (قاسم خان) أحد ابرز زعماء الكورد في منطقة (قارص) والذي كان يملك نفوذا كبيرا على عشائر المنطقة، حيث لعب دورا في الصراع الروسي العثماني وحاول استغلال ظروف الحرب لصالحه عندما دخل في مفاوضات مع الروس حول ذلك[١٧].

بالرغم من كل ما ذكرناه فقد سيطرت الدولة العثمانية سيطرة قوية على معظم مناطق كوردستان، حيث اصبح الحكم بيد باشا عثماني يعاونه بعض الموظفين، من جانب أخر فقد استطاعت الدولة العثمانية من خلال قضائها على الإمارات الكوردية، أن تقلل إلى حد كبير من التدخل الإيراني في حدود الدولة العثمانية منذ

أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بالاضافة الي ضعف السلطة المركزية في ايران نفسها ووجود النفوذ الروسي في شمال ايران، وانعكس ذلك على جهود الولاة وخاصة في تلك الولايات القريبة من الحدود حيث المجهودات وترتب على ذلك قطع العلاقات التي أقامها الدبلوماسيون الغربيون مع الأمراء الكورد[١٨].

قامت الحكومة العثمانية منتصف القرن التاسع عشر بإعادة تنظيم الوحدات الإدارية، حيث أصبحت أيالة هكاري تضم ألوية (هكاري - ماردين - وان - الجزيرة) وأيالة كوردستان تضم ألوية (موش - ديرسم - آمد) وأيالة الموصل تضم ألوية (الموصل - رواندز) وأيالة بغداد تضم ألوية (بغداد - السليمانية - البصرة) وبموجب التقسيمات الجديدة فقد ألغيت بذلك أيالة شهرزور[١٩].

أما طبيعة الإدارة العثمانية في كوردستان منتصف القرن التاسع وبعد القضاء على الإمارات الكوردية فانه يتفق معظم المؤرخين على إنها كانت تتميز بالضعف والفساد وانتشار الرشوة وسلب ممتلكات الناس والاستغلال فيذكر لونكريك بأنه ترتب على الوضع الإداري الجديد أن ((خلي المجال للتعليمات المدونة على الورق، وللموظفين الجبناء الذين يباعون ويشترون بالمال، وللاستغلالية الواهنة واللغة التركية الغريبة))[٢٠]ويؤيده في ذلك محمد أمين زكي حيث يذكر إن الإدارة العثمانية في كوردستان كانت تتميز بالتأخر وكانت ((أرواح وأموال الأهالي معرضة دائما للخطر والهلاك، إذ كان الحكام والموظفون لا ينظرون إلا إلى إشباع نزواتهم وتحقيق شهواتهم بابتزاز أموال الأهالي وسلب مقتنياتهم حتى إن الولاة والمتصرفين المتجاورين يتبارون ويتنافسون في ذلك اشد المنافسة))[٢١] ولعل سوء الإدارة تلك دفعت بادجر إلى القول ((بأنه على يقين لو عاش أكراد تركيا (الدولة العثمانية) في ظل إدارة عادلة لكانوا مواطنين اكثر طاعة وفائدة))[٢٢].

بالإضافة إلى كل الإجراءات التي اتخذتها السلطات العثمانية في كوردستان فان ذلك كان يرافقه على الجانب العثماني تنظيم الحملات العسكرية على المناطق الثائرة والتي تشكل تحديا وخطرا على تلك الإجراءات، وفي مقدمة تلك المناطق تأتي منطقة (ديرسم) التي منحها موقعها الجغرافي في أقصى شمال غرب

كوردستان إن تكون خط أمامي، فقد وجهت السلطات العثمانية حملة عسكرية متكونة من (١٥) ألف جندي قبل اندلاع حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية وحلفائها سنة ١٨٥٣م، حيث أرادت الدولة العثمانية إخضاع ديرسم وتأمين خطوط الإمدادات لجيوشها وتحويلها كقاعدة لذلك، فاستخدمت الجيوش العثمانية كعادتها كل الأساليب القاسية ضد السكان ونكلت بالزعماء الكورد، حيث اضطر قائد المقاومة (علي بك بن الشيخ حسين بك) إلى التراجع إلى الجبال ومقاومة الجيوش العثمانية حيث نجح في دحر هجماتهم الواحدة تلو الأخري، حتى اضطرت السلطات العثمانية إلى سحب قواتها الرئيسية من ديرسم والإبقاء على حاميات صغيرة في بعض المناطق الاستراتيجية، وحينذاك فشلت الحملة العسكرية العثمانية في تحقيق أهدافها[٢٣].

أما من الناحية الاقتصادية فقد أصيب اقتصاد كوردستان بأضرار كبيرة لأنها تحولت إلى مسرح للحروب والصراعات الداخلية عند مقاومة الكورد للحملات العسكرية العثمانية، والخارجية نتيجة للحروب بين الدولة العثمانية وإيران وروسيا حيث أصابت الاقتصاد بالضعف والانحطاط، ومع ذلك فقد حولت السلطات العثمانية، كوردستان، إلى مصدر رئيسي مهم للخزينة المركزية العثمانية سواء في مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة[٢٤]، ونتج عن ذلك إن الأوضاع الاقتصادية في كوردستان كانت تسوء يوما بعد يوم بسبب الضرائب الباهضة التي كانت تجبر العديد من الكورد على هجرة قراهم واللجوء إلى الجبال[٢٥]، وفي الوقت نفسه فان الأوضاع الاقتصادية في الدولة العثمانية نفسها كانت تتدهور باستمرار بسبب العلاقات الاقتصادية السائدة وتغلغل النفوذ التجاري والسياسي للدول العظمي فيها، ويمكننا إن نورد قيمة واردات الدولة العثمانية من إنكلترا سنة ١٨٢٧م بأنها بلغت اكثر من (٥٣٢) ألف جنيه إسترليني، بينما ارتفعت إلى (٥.٢) مليون جنيه إسترليني سنة ١٨٥٣م، وكان ذلك التدهور الاقتصادي يترك اثارا سلبية على الكورد بشكل كبير[٢٦].

يشير المستشرق السوفيتي (فيلجيفسكي) في (الاثنوغرافية السوفيتية) العدد

٥-٦ لسنة ١٩٣٦م الى الاثار السلبية التي تركتها السيطرة العثمانية على التطور الاجتماعي في كوردستان [٢٧].

يمكننا إن نستنتج جانبا من الأوضاع الاقتصادية والمعيشية المتردية التي كان يعيشها الكورد في ظل الإدارة العثمانية وحيث كان من الصعوبة تامين ابسط مقومات الحياة من مأكل ومأوي، من خلال الصورة التي نقلها (بادجر) من القرى الكوردية الواقعة بين آمد وماردين حيث وصف له السكان أوضاعهم قائلين ((ماذا علينا إن نفعل، إذا ما سكنا السهول وبنينا القرى، إن الأتراك يهدمون قرانا ويسلبوننا أدوات حراثتنا، يقتلوننا، يأسروننا ... ماذا بوسعك إن تفعل والحال هذه؟ نترك بيوتنا رغما عنا، ونبحث عن الملجأ لدى اخوتنا في الجبال لأنهم هناك لا يتعرضون لأي اضطهاد هذه هي قسمتنا))[٢٨].

لقد كان الكورد يتذمرون كثيرا من الضرائب والتجنيد، وكثيرا ما كان ذلك دافعا للسلطات العثمانية لتنظيم الحملات العسكرية في مختلف مناطق كوردستان بحجة جمع الضرائب وفرض التجنيد، ففي منتصف القرن التاسع عشر استمرت الدولة العثمانية في سياستها رغم سيطرتها على مختلف مناطق كوردستان، ففي سنة ١٨٥٠م قامت القوات العثمانية بقيادة (محمد باشا) بارتكاب مذبحة في قرية (أومريان) في منطقة (جبل طور) وكان السبب هو امتناع السكان من دفع الضريبة للمرة الثانية، فقد كان الجابي قد اختلس الضرائب عندما جمعها لاول مرة وبدلا من معاقبته، فان الموظف المسؤول عن الضرائب أمره بجمع الضرائب مرة ثانية، وكانت النتيجة وكرد على امتناع السكان دفع الضريبة مرة أخرى فان القوات العثمانية قامت بحملة عسكرية على القري في تلك المنطقة وقامت كالعادة بتدمير القري ونهب الممتلكات واسر السكان، وكان (بادجر) في (ماردين) أثناء عودة قوات (محمد باشا) من مهمتها حيث يصور موكب جنوده وهم يسوقون الماشية والأسرى[٢٩].

ظهرت الاثار السلبية لعملية إرغام الكورد على الخدمة العسكرية مع بداية حرب القرم مع روسيا، حيث إن الخيالة الكورد في الجيش العثماني الذين قدر

عددهم بـ (٤-٥) الاف مع بداية الحرب، لم يبق منهم أحد ضمن الجيش العثماني بعد سنة، فقد عادوا إلى مناطقهم وأدت الأوضاع إلى اندلاع حركة (يزدان سير) كما ذكرنا، والتي قال عنها القائد الروسي (ليخوتين) إن ((رياء الباشا وظلمه واستبداده قد أثار السخط العام ليس لدي الأكراد فحسب، بل لدي جميع من رأي حكم القائد الكوردي لابد من إن يكون افضل من حكم الباشا))[٣٠]. ان نهاية الامارات الكوردية تشكل نهاية مرحلة مهمة من التاريخ الكوردي، لتبدا مرحلة أخرى تمتد لبضعة عقود حتى يتواصل الوعي القومي الكوردي خلال ذلك ليعبر عن نفسه بوضوح كبير في ثورة ١٨٨٠ بقيادة الشيخ عبيد الله النهري، وثم وصولا إلى القرن العشرين الذي شهد الوعي القومي الكوردي الحديث والمعاصر سطوعا اشد.

الهوامش

(١) خالفين، المصدر السابق، ص٦٣؛ كوجيرا، المصدر السابق، ص٤٩.

(٢) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص١٣٤.

(٣) شمزيني، المصدر السابق، ص٥٩.

(٤) م. رسول هاوار، كورد وباكورى كوردستان له سەرەتاى مێژوه وەهەتاشەرى دو هەمى جيهان، سليمانى، ٢٠٠٠، ص٢٠٧.

(٥) جليل، من تاريخ الإمارات ...، ص ١٤٣ : مجيد جعفر، المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٦)

.P56 ،Cit .Op ،Izady

(٧) كوجيرا، المصدر السابق، ص٤٩.

(٨) ادموندز، المصدر السابق، ص٢٠٣ : نوار، تاريخ العراق الحديث، ص١٣٤ : الدملوجي، المصدر السابق، ص٦٧.

(٩) المصدر السابق، ص ص ٣٤١-٣٤٢.

(١٠) شيركوه، المصدر السابق، ص٣٥.

(١١) عبد الله محمد على، كردستان في عهد الدولة العثمانية من منتصف القرن التاسع عشر إلى بدء الحرب العالمية الأولى (دراسة في التاريخ السياسي)، رسالة دكتوراه مقدمة لمجلس كلية الاداب، جامعة صلاح الدين، ١٩٩٨، ص٤٥.

(١٢) بوا، لمحة عن الأكراد، ص ١٤.

(١٣) خالفين، المصدر السابق، ص٧٧ : شمزيني، المصدر السابق، ص ٢٥ : جعفر، المصدر السابق، ص٢٨٠.

(١٤) تقع مواطن عشائر الملي في الجنوب من جبال طوروس الشرقية وعلى نهر دجلة نحو الشرق والغرب وتقع بلدة (ويران شهر) مركز رؤساء العشيرة في وسط الخط بين ماردين وأورفه. أبو بكر، اكراد الملي ... ،ص٥.

(١٥) زكي، خلاصة ...، ص٢٣٦.

(١٦) المصدر نفسه، ص ص ٢٣٦-٢٣٧ : لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٤٤. للتفاصيل عن ذلك ينظر: أبو بكر، اكراد الملي ...، ص٢٠ وما بعدها.

(١٧) خالفين، المصدر السابق، ص ٧٥

(١٨) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص١٣٥.

(١٩) جليلى جليل، كورده كانى ئيمبراتوريەتى عوسمانى، و: كاوس قه فتان، بغداد، ١٩٨٧، هامش ص ٢٩٨.

(٢٠) المصدر السابق، ص٣٤٥.

(٢١) زكي، خلاصة ...، ص٢٣٧.
(٢٢) نقلا عن ليرخ، المصدر السابق، ص٥٠.
(٢٣) جليل، الحركة الكردية ...، ص ص ٢٦-٢٧.
(٢٤) جعفر، المصدر السابق، ص ص ١١٢-١١٥.
(٢٥) جليل، من تاريخ الإمارات ...، ص١٤٤.
(٢٦) خالفين، المصدر السابق، ص ص ٨٦-٨٧.
(٢٧) جلال الطالباني، كردستان والحركة القومية الكردية، بيروت، ١٩٧١، ص ص ٧٧-٧٨.
(٢٨) نقلا عن: ليرخ، المصدر السابق، ص٥١ : جليل، من تاريخ الإمارات ...، ص١٤٤.
(٢٩) جليل، من تاريخ الإمارات ...، ص ص ١٤٤-١٤٥.
(٣٠) نقلا عن المصدر نفسه، ص ص ١٥٠-١٥١.